دور القرآن الكريم في إشاعة روح التسامح في المجتمع

الباحث: د. عامر صباح أحمد الكبيسي

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأتم التسليم على أكرم رسل الله وأشرف خلقه سيد الأولين والآخرين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد: فالقرآن الكريم كتاب الله الذي أنزله على حبيبه سيدنا محمد، الذي بعثه الله تعالى برسالته إلى البشرية كلها، تلك الرسالة التي تأمر بالعدل والإحسان وتنهى على الظلم، وترسي مبادئ السلام في الأرض، وتدعو إلى التعايش السلمي، في جو من الإخاء والتسامح، بين البشر جميعاً بصرف النظر عن أجناسهم وألوانهم ومعتقداتهم.

وعالمنا اليوم بأشد الحاجة إلى التسامح الفعّال، والتعايش السلمي بين الناس أكثر من أي وقت مضى، وذلك لأن التقارب بين الثقافات والتفاعل بين الحضارات يزداد يوماً بعد يوم، بفضل ثورة المعلومات والتكنولوجية الحديثة، التي أزالت الحواجز الزمانية والمكانية بين الأمم والشعوب، حتى أصبح الجميع يعيش في قرية كونية كبيرة.

فأردت أن ابحث في هذا الموضوع المهم في حياة الفرد والمجتمع وخاصة في هذ الظروف العصيبة التي تمر بها امتنا الإسلامية، وأبين دور القرآن الكريم في إشاعة روح التسامح بين أبناء المجتمع، وذلك من خلال آياته التي تكلمت عن التسامح والعفو والصفح.

فأقدم إليكم بحثي المتواضع هذا، لمؤتمركم الموسوم **(دور القرآن الكريم في الإصلاح المجتمعي)**، ضمن المحور السابع "**دور القرآن الكريم في الإصلاح الاجتماعي**" تحت عنوان "**دور القرآن الكريم في إشاعة روح التسامح في المجتمع**".

وكانت طبيعة هذا البحث مكونة من مقدمة وثلاثة مباحث، **أما المقدمة** فذكرت فيها أهمية هذا الموضوع، وخاصة في حياة الفرد والمجتمع، وطريقة البحث فيه، وخطة البحث. **وأما المبحث الأول: تعريف التسامح لغة واصطلاحا**، ذكرت فيها التعريف اللغوي لمفهوم التسامح من خلال كتب اللغة والمعاجم، والتعريف الاصطلاحي لهذا المفهوم من خلال المصادر القديمة والحديثة التي تناولت هذا المصطلح.

وأما المبحث الثاني فكان تحت عنوان: أهمية التسامح في الإسلام، بينت فيه أهمية هذا المفهوم من خلال الشريعة الإسلامية، وما كُتب حول هذا المفهوم من أصحاب العلماء الاختصاص.

وأما المبحث الثالث فكان تحت عنوان: أنواع التسامح في القرآن الكريم، ويشتمل على أربعة مطالب: المطلب الأول: **التسامح الفكري**، المطلب الثاني: **التسامح الديني**، المطلب الثالث: **التسامح الاجتماعي**، المطلب الرابع: **التسامح العسكري في الحروب**، ويعد هذا المبحث هو لبّ الموضوع والبحث، بينت فيه أنواع التسامح التي ذكرت في القرآن الكريم، ومدى تأثيرها على المجتمع.

وختمت هذا البحث بخاتمة ذكرت فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال دراستي في هذا البحث، وبعدها ذكرت المصادر المراجع التي اعتمدت عليها في كتابة هذا البحث.

وأخيرا أسال الله تعالى التوفيق والسداد في إتمام بحثي هذا وإخراجه بأبهى صورة، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

المبحث الأول

تعريف التسامح لغة واصطلاحاً

التسامح: لغة: يدل على السلاسة والسهولة، يقال: سمح له بالشيء إذا أجاد، ورجل سمح، أي جواد، وقوم سمحاء أجواد، يقال: سمح سماحة إذا صار سمحاً، والسماح الجود[١]، ومنه قوله ﷺ: ((رحم الله عبداً سمحاً إذا باع...الحديث))[٢].

والسماح الجود، ومنه المسامحة في البيع أي التسهيل، ومثله السماح والسموحة والسَمح، وتسامحوا تساهلوا[٣].

التسامح اصطلاحاً: ذكر العلماء في تعريف التسامح في الاصطلاح عدة تعاريف أغلبها تصب في معنى واحد، فمنهم من عرّفه: بأنه هو احترام الحق في الاختلاف، وأن يجهد النفس في طلب الحجج والخصومة، كما يجهد نفسه في طلب الحجج لمذهبه[٤].

ومنهم من عرّفه: بأنه استعمال اللفظ في غير الحقيقة بلا قصد علاقته المعنوية، ويعني: التساهل في العبارة، أي أداء اللفظ بحيث لا يدل على المراد دلالة صريحة[٥].

وعرفّه الدكتور وهبة الزحيلي في تفسيره "التفسير المنير" بأنه: التخفيف إلى أقصى حد ممكن من الهيمنة المقصودة، أو غير المقصودة التي يمارسها مذهب الأغلبية داخل الدين الواحد، ودين الأكثرية داخل المجتمع الواحد[٦].

ومنهم من عرّفه: بأنه التسامح مع الغير في المعاملات المختلفة، ويكون ذلك بتيسير الأمور والملاينة فيها، التي تتجلى في التيسير وعدم القهر(٧).

والخلاصة يتضح لنا مفهوم التسامح بأنه مفهوم أخلاقي يدعو إلى العفو والصفح وتقبل الآخر، وعدم إلغاء الآخرين رغم اختلاف ألوانهم ومعتقداتهم مع التمسك بثوابت الدين الأساسية.

المبحث الثاني

أهمية التسامح في الإسلام

الدين الإسلامي دين خاطب البشرية جميعاً، وهو يتجه برسالته الى البشرية كلها، تلك الرسالة التي تأمر بالعدل والإحسان، وتنهى عن الظلم والفحشاء والبغي، وترسي مبادئ السلام الشامل في شتى بقاع المعمورة، وتدعو إلى التعايش السلمي بين البشر جميعاً في جو من الإخاء والتسامح بين كل الناس، بصرف النظر عن أجناسهم وألوانهم ومعتقداتهم.

وعالمنا اليوم في أشد الحاجة إلى التسامح الفعّال والتعايش السلمي بين الناس أكثر من أي وقت مضى، نظراً لأن التقارب بين الثقافات والتفاعل بين الحضارات يزداد يوماً بعد يوم، بفضل ثورة المعلومات والاتصالات، والثورة التكنولوجية التي أزالت الحواجز الزمانية والمكانية بين الأمم والشعوب، حتى أصبح الجميع يعيشون في قرية كونية كبيرة(٨).

والإسلام دين يسعى من خلال مبادئه وتعاليمه إلى تربية أتباعه على التسامح إزاء كل الديانات والثقافات، فقد جعل الله الناس جميعاً خلفاء في الأرض التي نعيش فوقها، وجعلهم شركاء في المسؤولية عنها، مسؤولين عن عمارتها مادياً ومعنوياً، كما ورد في القرآن الكريم: ﴿هو الذي أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها﴾(٩).

وتأتي أهمية التسامح في الإسلام في أن هذا المجتمع الإنساني المنشود لن يتحقق على النحو الصحيح إلا إذا التسامح بين افراده، بمعنى أن يحب كل فرد فيه للآخرين ما يحب لنفسه، امتثالاً لقوله ﷺ: ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه))(١٠).

وتتضح كذلك بأن الفطرة البشرية التي فطرنا الله عليها تؤكد ضعفنا في كل الأحوال، ولابد للإنسان أن يدرك أنه يبقى في مراحل النقص لأن الكمال لله سبحانه وتعالى وحده، وأن الإنسان معرض للخطأ في كل أحواله، لذلك يقول عليه الصلاة والسلام: ((كل بني آدم خطّاء

وخير الخطّائين التوّابون))، ولم يستثن بذلك القول أي إنسان فكلهم معرضون للخطأ والنسيان، ولا شك في أن وعينا بأننا خطّاؤون يواكبه في الوقت ذاته وعياً بمسؤوليتنا التي ترتكز عليها كرامتنا الإنسانية، الأمر الذي يمكننا من السلوك القويم المتسامح حيال الاخرين الذين يشاركوننا في الإنسانية، والذي ينبغي أن يربطنا بهم رباط الإنسانية المشترك.

والتسامح يقوم على الاعتراف بحرية كل إنسان وكرامته، ونحن مطالبون أخلاقياً ودينياً أن نكون متسامحين مع كل البشر بغض النظر عن انتماءاتهم العرقية والثقافية والدينية بما لا يخالف الدين الإسلامي، مع تمسكنا بثوابت الدين والعقيدة.

ولا يكتفي الإسلام بتعليم أتباعه هذا التسامح الشامل، بوصفه شرطاً من شروط السلام الضروري للمجتمع الإنساني، بل يطلب منهم أيضاً الالتزام بالسلوك العادل الذي لا يقبل بالآخر فحسب، بل يحترم ثقافته وعقيدته وخصوصياته الحضارية، وخير وصف يمكن أن نطلقه على هذا التسامح، إنه تسامح إيجابي وليس تسامحاً حيادياً(١١).

وفي هذا يقول الله تعالى في كتابه العزيز: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴾(١٢).

يقول سيد قطب عن هذه الآية: إن الإسلام دين سلام وتسامح وعقيدة حب تستهدف أن تظلل العالم كله، وأن يجمع الناس تحت لواء رسول الله ﷺ أخوة متعارفين ومتحابين، ولقد وقع بعد نزول هذه الآيات السابقة من سورة الممتحنة بوقت قصير، أن فتحت مكة وأسلمت قريش ووقف الجمع تحت لواء واحد، وقد طويت الثارات والمواجع(١٣).

لقد رفع الله الحرج عن المسلمين في أن يبروا غيرهم، وأن يتحروا العدل في معاملاتهم فلا يبخسونهم من حقوقهم شيئاً، هذا هو التسامح في معناه الواسع، وهذا أساس شريعة الإسلام، التي تجعل حالة السلم بينه وبين الناس جميعاً.

وقد قال رسول الله ﷺ للأشج بن عبد القيس: ((إن فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة))(١٤).

إن هذا الحديث هو دعوة صريحة إلى التسامح والتعايش بين البشر جميعاً، فإن الحلم عنوان التسامح، والأناة هي الرفق في الأمر كله.

وتأتي أهمية التسامح في الإسلام أنه أقرّ التعددية وجعل التسامح فيها من أولوياتها، وبيّن أنه لا يجوز ان ينظر إلى اختلاف الجماعات البشرية في أعراقها وألوانها ومعتقداتها ولغاتها على أنها تمثل حائلاً يعوق التقارب والتسامح والتعايش السلمي بين الشعوب، فقد خلق الله تعالى الناس مختلفين، ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ﴾[١٥]، ولكن هذا الاختلاف بين الناس في أجناسهم ولغاتهم وعقائدهم، لا ينبغي أن يكون منطلقاً أو مبرراً للنزاع والشقاق بين الأمم والشعوب، بل الأحرى أن يكون هذه الاختلاف والتنوع دافعاً إلى التعارف والتعاون والتآلف بين الناس، من أجل تحقيق ما يصبون إليه من تبادل للمنافع وتعاون على تحصيل المعايش وإثراء للحياة والنهوض بها[١٦].

وتأتي أهمية التسامح أيضاً في إشاعة أجواء الحرية الفكرية التي دعا إليها الإسلام، فهو في جميع الأوامر والنواهي إنما يدعو إلى فتح مجالات حرية الاختيار، ولقد بلغ التسامح في الفكر الإسلامي حداً لا نظير له، عبّر عنه الشيخ محمد عبده بما اشتهر بين المسلمين وعُرف من قواعدهم: "إذا صدر قول من قائل يحتمل الكفر من مائة وجه، ويحتمل الإيمان من وجه واحد حُمل على الإيمان، ولا يجوز حمله على الكفر"[١٧]، فما أحوجنا اليوم إلى هذا التسامح بين البشر تسامحاً يضاهي هذا أو يماثله في زمن كثرت فيه الفتن والمحن، وكثرت فيه البغضاء والشحناء بين الناس، فنحن اليوم بأمس الحاجة إلى هذا الخلق الرفيع[١٨].

المبحث الثالث

أنواع التسامح في القرآن الكريم

المطلب الأول

التسامح الفكري

إن الاختلاف نعمة وإذا طُعم بتسامح فكري، ووُضع في إطار أخلاقي، يخلّف ذلك أثراً فعّالاً يعيننا على تطوير أفكارنا بأسلوب حضاري يتناغم مع ثقافة عصرنا الحاضر، فإننا إن افتقدنا التسامح الفكري، وجدنا أنفسنا ندور في وسط التعصب الفكري، ونسينا قول نبينا محمد ﷺ

فيما رواه جبير بن مطعم أن رسول الله ﷺ قال ((ليس منا من دعل إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية))[١٩].

وقد أقرّ القرآن الكريم هذا الحق في أوسع نطاق، فمنح كل فرد الحق في النظر والتفكير، وإبداء رأيه بحرية، قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾[٢٠]، والمعنى: ليكن من هذه الأمة من أصحاب التفكير السليم مَن يدعو إلى الخير وينهى عن الشر[٢١].

إن التسامح الفكري شيء مفتقد في واقعنا الحاضر، وإننا اعتدنا في محاوراتنا على الرمي بالحطب، ونجد من يلقي بأعواد الثقاب ليشعل الحوار ومن فيهـــا، ليلغي مبدأً راقياً من الحوار وهو التسامح، فنحن ننظر إلى الأمور دائماً على أنها أبيض وأسود، يمين أو يسار، سالب أو موجب، وهذه النظرة تصنع كثيراً من الإشكالات في واقعنا الفكري والسياسي، فالأشخاص إما معنا أو ضدنا، ولا مكان للوسط، وإذا نظرنا على سبيل المثال إلى السجالات الفكرية التي تدور في ساحتنا المحلية نجد طرفيها يتصارعان في سبيل إثبات رؤيتهما وفكرتهما عبر سحق الطرف الآخر بشتى الطرق والوسائل في اتجاه معاكس، وينسى الطرفان أنهما في سفينة واحدة، سفينة المجتمع، وأن شد أي منهما السفينة نحو جبهته قد يعني غرق السفينة، أو في أحسن الأحوال تخبطهما وسيرهما على غير هدى إلى الوجهة المرجوة وإبقاءها تراوح مكانها[٢٢].

إن التسامح الفكري لا يتحقق إلا بوجود الوصايا التالية:

١- الواجب على الشخص الخروج من الحوارات الساخنة التي لا تجدي نفعاً، بل ترسخ الحقد والكراهية بين الآخرين.

٢- التسامح الفكري عنصر فعّال إذا وجدناه سنجد نعيماً وأُنساً وسبيلاً محفوفاً بالخيرات.

٣- لابد من الاعتراف بالتقصير، والاعتراف بقلة المعرفة في إدراك الكثير من الحقائق، ولابد من اغتنام الفرصة، فكل شخص أمامك عنده كنز ما يمكنك أن تأخذه منه[٢٣].

المطلب الثاني

التسامح الديني

إن التسامح الديني الذي جاء به الإسلام العظيم، جسده لنا رسول الله ﷺ تجسيداً واضحاً جلياً سار عليه الصحابة والتابعين ﷺ، وهذا ما بينه القرآن الكريم جلياً في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴾ (٢٤).

فالله سبحانه وتعالى خلق الإنسان على شكل محدد وجعل بعضهم يختلف عن البعض الآخر باللغات واللهجات والأشكال والألوان، ولكنهم ينتسبون إلى جنس واحد هو بنو البشر، ولذلك قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَٱخۡتَلَفُواْ ﴾(٢٥).

جاء في تفسير هذه الآية، أي: وما كان الناس إلا أهل دين واحد وملة واحدة فاختلفوا في دينهم، فافترقت بهم السبل في ذلك، وهي فطرة الإسلام والتوحيد التي فطر عليها كل أحد فاختلفوا باتباع الهوى وعبادة الأصنام، فالشرك وفروعه جهلات ابتدعها الغواة صرفاً للناس عن وجهة التوحيد، ولذلك بعث الله الرسل بآياته وحججه البالغة(٢٦).

إن القرآن الكريم أبدى تسامحه مع أهل الكتاب، وخاصة النصارى منهم، وإن القرآن الكريم يذكر السيدة مريم وعيسى عليهما السلام، على أنهما بلغا حد الكمال الإنساني، ولم نجد ذلك في كتبهم وأناجيلهم المتنوعة والمختلفة، حيث أنها لم تذكر وصراحة فصلاً أو غيره في الحديث عن نبينا ﷺ، وهذا له دلالة، وهو أن القرآن الكريم كلام الله، وأن عيسى نبي الله عليه السلام، والأناجيل وأسفارها من كلام البشر، ولو كان من كلام الله لرأيناه يتحدث عن نبينا محمد ﷺ ولم نشاهد ذلك(٢٧).

وإن من مظاهر التسامح الديني، التسامح في العبادات والمعاملات التي بينها القرآن الكريم، فمن نماذج التسامح في العبادات، ما ذكره تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقۡرَبُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمۡ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعۡلَمُواْ مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّىٰ تَغۡتَسِلُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوّٗا غَفُورٗا ﴾ (٢٨).

في هذه الآية الكريمة تظهر سماحة الشرع الشريف في العبادة، فأوجد لمريد الصلاة الذي يفتقد وجود الماء او وجد الماء فتعذر استعماله بسبب جرح أو غيره من الأعذار، فجعل التيمم بديلاً عنه ويجزئ للصلاة به، وهذا هو نوع من أنواع التسامح في العبادات، إذ إن الله سبحانه وتعالى أراد التخفيف عن عباده لأنه يعرف ضعفهم ومن أجل استمرار أداء الفرائض دون انقطاع[٢٩].

ومن نماذج التسامح في المعاملات التي ذكرت في القرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [٣٠].

أي من عفا عن الظالم المسيء، وأصلح بالود والعفو ما بينه وبين معاديه، فثوابه على الله، يعطيه جزاء أعظم، كما قال ﷺ عن أبي هريرة: ((وما زاد الله عبداً بعفو إلا عزاً))[٣١].[٣٢]

فالآية صريحة في معاملات الناس بعضهم مع بعض، فحمل السيئات على ما يسوء من معاملة الناس، ثم نادى بالعفو ورغّب فيه، بأن مَن يعفو له الأجر والمثوبة عند الله.

المطلب الثالث

التسامح الاجتماعي

إن المقصود من التسامح الاجتماعي هو المبادرة إلى تقبل الرأي الآخر وعدم تهميش أحد من المجتمع، فالقرآن الكريم فرض على الأبناء احترام الأبوين والتعامل معهما بالرحمة والتسامح والعطف والعفو والصفح عنهما، فإذا أساء الإنسان إلى والديه، فإن نظرة المجتمع تكون عليه نظرة ازدراء، قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حُسۡنٗا ﴾[٣٣]، ولهذا أُعتبر هذا العمل من أنواع التسامح وهو من جملة الفضائل، فهو يتسامح مع الوالدين كفضيلة خلقية يمليها عليه المجتمع والناس[٣٤].

ولهذا فقد اهتم القرآن الكريم بمعالجة الأمور الاجتماعية التي تحصل عند الأفراد، مثل حماية الشخص من المرض والشيخوخة، وحماية اليتيم الذي فقد أباه، وليس له ما يساعده على التربية السليمة، وحماية المرأة التي فقدت زوجها ولم يترك لها يكفيها وعيالها، ولا يتفق مع كرامة الإنسان أن يتركوا هملاً بلا رعاية.

لذلك شرع القرآن الكريم الحماية الاجتماعية، من جاء التسامح الاجتماعي من أجل أن يعيش الناس حياة طيبة كريمة، وتتجلى هذه السماحة في معاملة الرسول ﷺ لأهل الذمة فقد كان يزورهم ويكرمهم ويحسن إليهم، ويعود مرضاهم، ويأخذ منهم ويعطيهم، جاء في الصحيح: إن رسول الله ﷺ عاد يهودياً وعرض عليه الإسلام، فخرج الرسول وهو يقول: ((الحمد له الذي أنقذه من النار))[٣٥]، ويجلى أيضاً في معاملة الصحابة والتابعين لغير المسلمين، فأصيب سيدنا عمر ﷺ بضربة رجل من أهل الذمة –أبي لؤلؤة المجوسي– فلم يمنعه ذلك ان يوصي الخليفة من بعده، وهو على فراش الموت، فيقول: "أوصي الخليفة من بعدي بأهل الذمة خيراً، أن يوفي بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، وألا يكلفهم فوق طاقتهم"[٣٦].

وأساس هذه النظرة المتسامحة التي تسود المسلمين في معاملة مخالفيهم في الدين، يرجع إلى الأفكار التي غرسها الإسلام في عقول المسلمين وقلوبهم، ومنها:

–اعتقاد كل مسلم بكرامة الإنسان، مهما كان دينه أو جنسه أو لونه، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ ﴾[٣٧]، وهذه الكرامة المقررة توجب لكل إنسان حق الاحترام والرعاية، وإكرام الإنسان بتسليطنا إياهم على غيرهم من الخلق، وتسخيرنا سائر الخلق لهم[٣٨].

ومثاله ما جاء في الصحيح عن جابر بن عبد الله ﷺ، أن جنازة مرت على النبي ﷺ فقام إليها واقفاً، فقيل له: يا رسول الله إنها جنازة يهودي، فقال ﷺ: ((أليست نفساً))[٣٩].

– ايمان المسلم أن الله تعالى يأمر بالعدل، ويحب القسط ويدعو إلى مكارم الأخلاق، ولو مع المشركين، ويكره الظلم ويعاقب الظالمين ولو كان الظلم من مسلم على كافر، قال تعالى: ﴿ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾[٤٠].

وهذا ما وجدناه في تسامح الإسلام اجتماعياً مع اهل الذمة، حيث أنهم يكونوا يعيشون في مجتمعات خاصة بهم داخل المجتمع المسلم، فلم يوجد في المدن الإسلامية أحياء خاصة بالنصارى، بل سكنوا مع المسلمين جنباً إلى جنب، وهذا نابع في الأساس من رغبة المسلمين أنفسهم، ليس هذا فحسب، بل لقد امتد اهتمام حكام الدولة الإسلامية بأحوال أهل الذمة إلى الرعاية الاجتماعية، شأنهم في ذلك شأن كل رعاياهم من المسلمين[٤١].

ولهذا فإن القرآن الكريم أراد ان يثبت بالتسامح الاجتماعي هو انفتاح المسلمين على غيرهم من أهل الديانات، وحث على التزاور بينهم والسؤال عن مرضاهم، وقبول الهدايا منهم، والرحمة بهم في التعامل معهم بغض النظر عن انتمائهم وأديانهم مع التمسك بثوابت الدين الحنيف في التعامل معهم، وقد وردت آيات كثيرة في القرآن الكريم تحث على التسامح الاجتماعي، كالتسامح بين الأزواج، قال تعالى: ﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [٤٢]. أي الواجب عليكم المتعة، أي إعطاء المطلقات شيئاً من أموالكم يتمتعن به بحسب حالكم من الثروة والغني والمنزلة والفقر، جبراً للخاطر، ولم يحدد الله تعالى، وإنما ترك تقديره لحالة الزوج [٤٣].

ومنها التسامح مع اليتامى، فالله سبحانه وتعالى أمرنا بكفالة اليتيم التي قال عنها في كتابه العزيز: ﴿ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ﴾ [٤٤]، وقوله: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ﴾ [٤٥]، بيّن سبحانه منزلة اليتيم وحرص النبي ﷺ على مراعاته والإهتمام به، وأكد على التسامح معهم في كل مراحل حياتهم، بل جعل المسح على رؤوسهم فيه من الحسنات والأجر العظيم من أجل أن يهتم المسلمون باليتامى، فقال ﷺ: ((من مسح رأس يتيم لم يمسحه إلا لله كان له بكل شعرة مرت عليها يده حسنات، ومن أحسن إلى يتيمة أو يتيم عنده كنت أنا وهو في الجنة كهاتين، وقرن بين أصبعيه السبابة والوسطى))[٤٦]، وجاء في تفسير هذه الآية: ألم يجدك واحداً فآواك الله بأصحاب يحفظونك، حيث كان رسول الله ﷺ من أشد الناس عناية باليتامى محبة وعطفاً وتكريماً[٤٧].

المطلب الرابع

التسامح العسكري في الحروب

أمر الله تعالى بقتال الأعداء كافة عند مقاتلتهم المؤمنين، وطلب الله من المؤمنين التقوى عند القتال، في الوقت الحاسم، وهذا يدل على تسامح القرآن الكريم وبلوغه المرتبة العليا في التسامح، قال تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [٤٨].

وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ وَلۡيَجِدُواْ فِيكُمۡ غِلۡظَةٗۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾ (٤٩).

جاء في تفسير هذه الآية: وأيقنوا عند قتالكم إياهم أن الله معكم وهو ناصركم عليهم، والله مع المتقين، ومن كان الله معه لم يظلمه شيء، لأن الله مع من اتقاه وخافه وأطاعه، فالله يأمر بالتقوى في أحلك الظروف، وهو قتال الأعداء، وهذا جانب فيه الدلالة على التسامح في حالة القتال مع الأعداء، وهذا فيه رحمة للكافرين(٥٠).

وها هو الرسول ﷺ يودع جيش مؤته ويوصيهم بأن لا يقتلوا أسيراً أو يجهزوا على جريح، أو يقتلوا امرأة أو طفلاً أو حتى رجلاً غير محارب، بل أمرهم ألا يقطعوا شجره أو يتلفوا مصلحة للعباد ليس لهم في الحرب يد أو قضية، والحديث مشهور في صحيح مسلم(٥١).

وكذلك حثّ القرآن الكريم على التسامح مع الأسرى في الإطعام وغيره، قال تعالى: ﴿ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ﴾ (٥٢).

جاء في تفسير هذه الآية: أي يطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً، أي ويطعمون الطعام في حال محبتهم وشهوتهم له المحتاج الفقير العاجز عن الكسب واليتيم والحزين الذي فقد أباه وعائلته، والأسير المقيد المحبوس أو المملوك سواء من أهل الإيمان أو من المشركين، وخص الطعام بالذكر لكونه إنقاذه للحياة وإصلاحاً للإنسان وإحساناً لا ينسى(٥٣).

إن الإسلام العظيم اعطى للأسرى أهمية بالغة، وأمر باحترامهم وإكرامهم ومعاملتهم معاملة حسنة تمثل أخلاق، وقد قام الصحابة بالعناية بالأسرى بإطعامهم الطعام مع حبهم له، وحاجتهم إليه، وأثنى الله على بإطعامهم الأسرى تقرباً إلى الله وطلبا لرضاه، لقد أمر الله بإكرام الأسرى، وكان الصحابة الكرام ﷺ يقدمونهم رجاء ثواب الله تعالى، وأن الله أمر بالإحسان إلى الأسرى الذين كانوا في أيدي المؤمنين، من خلال الغزوات التي شارك فيها أصحاب النبي ﷺ، والمثال على ذلك ما حصل من العناية بالأسرى في يوم بدر، وهذا التسامح بلغ غايته في الإسلام(٥٤).

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. ﴿ قل الحمد لله وسلامٌ على عبادهِ الذين اصطفى﴾(٥٥).

فبعد هذه الرحلة العطرة والسيرة المباركة التي قضيتها مع هذا البحث والتي توصلت فيه إلى النتائج التالية:

١- إن القرآن الكريم أهتم بالقيم الإنسانية الأصيلة على اعتبار أنها تجمع علاقة الإنسان بأخيه الإنسان أياً كان اتجاهه الفكري والعقدي.

٢- إن التسامح كقيمة اجتماعية تتعلق بحقوق الإنسان في مواثيق الأمم المتحدة، ومبادئها الإنسانية، هي في الإسلام قيمة دينية تنبثق من تكريم الله للإنسان.

٣- حرص الإسلام على اشاعة مبدأ المساواة بين الناس، انطلاقاً من تساويهم في الخِلقة والحقوق والواجبات.

٤- إن الاختلاف نعمة وإذا طُعم بتسامح فكري، ووُضع في إطار أخلاقي، يخلّف ذلك أثراً فعّالاً يعيننا على تطوير أفكارنا بأسلوب حضاري يتناغم مع ثقافة عصرنا الحاضر.

٥- إن التسامح الديني الذي جاء به الإسلام العظيم، جسده لنا رسول الله ﷺ تجسيداً واضحاً جلياً سار عليه الصحابة والتابعين ﷺ، وهذا ما بينه القرآن الكريم جلياً في كثيرة.

٦- إن المقصود من التسامح الاجتماعي هو المبادرة إلى تقبل الرأي الآخر وعدم تهميش أحد من المجتمع، فالقرآن الكريم فرض على الأبناء احترام الأبوين والتعامل معهما بالرحمة والتسامح والعطف والعفو والصفح عنهما.

٧- أمر الله تعالى بقتال الأعداء كافة عند مقاتلتهم المؤمنين، وطلب الله من المؤمنين التقوى عند القتال، في الوقت الحاسم، وهذا يدل على تسامح القرآن الكريم وبلوغه المرتبة العليا في التسامح.

هوامش البحث ومصادره:

(١) ينظر: جمهرة اللغة لأبن دريد ٥٣٥/١ – مقاييس اللغة لابن فارس ٩٩/٣ – لسان العرب لابن منظور ٤٨٩/٢ .

(٢) الحديث أخرجه: ابن حبان في صحيحه ٢٦٧/١١ رقم٤٩٠٣ – والبيهقي في شعب الإيمان ٤٣٦/١٠ رقم٧٧٥٨ .

(٣) ينظر: مشارق الأنوار على صحاح الآثار لابي الفضل اليحصبي ٢٢٠/٢ .

(٤) ينظر: تهافت التهافت لمحمد بن أحمد بن رشد ص٣٦٩ .

(٥) ينظر: التعريفات للجرجاني ص٧٩ .

(٦) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج للدكتور وهبة الزحيلي ٢٥٣/٣ .

(٧) ينظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ٢٢٨٧/٦ .

(٨) ينظر: السلام العالمي والإسلام ص٥٧ .

(٩) سورة هود الآية ٦١ .

(١٠) الحديث أخرجه: البخاري في صحيحه ١٢/١ رقم١٣ .

(١١) ينظر: التفاهم في الإسلام للدكتور محمود حمدي زقزوق ص٥ .

(١٢) سورة الممتحنة الآية ٨ .

(١٣) في ظلال القرآن لسيد قطب ٣٥٤٤/٦ .

(١٤) الحديث أخرجه: الإمام مسلم في صحيحه ٤٨/١ رقم١٧ .

(١٥) سورة هود الآية ١١٨–١١٩ .

(١٦) ينظر: حقوق الإنسان وحرياته الأساسية لعبد الوهاب الشيشاني ص٧٥ .

(١٧) الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية للشيخ محمد عبده، ص٥٣ .

(١٨) ينظر: التفاهم في الإسلام لمحمود حمدي الزقزوق ص٦ .

(١٩) الحديث أخرجه: أبو داود في سننه ٣٣٢/٤ رقم ٥١٢١ .

(٢٠) سورة آل عمران الآية ١٠٤ .

(٢١) ينظر: جامع البيان للطبري ٩٠/٧ .

(٢٢) ينظر: دعوة لنشر ثقافة التسامح الفكري للدكتور ابراهيم بن منصور التركي ص٣ .

(٢٣) ينظر: التسامح بين القرآن الكريم والعهد الجديد لعبد الله ربابعة، ص١٠٥ .

(٢٤) سورة الحجرات الآية ١٣ .

(٢٥) سورة يونس الآية ١٩ .

(٢٦) ينظر: محاسن التأويل للقاسمي ١٥/٦ .

(٢٧) ينظر: التسامح مظاهره وآثاره لميمونة الناصر ص٤ .

(٢٨) سورة النساء الآية ٤٣ .

(٢٩) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٩١/٢ .

(٣٠) سورة الشورى الآية ٤٠ .

(٣١) الحديث أخرجه: مسلم في صحيحه ٢٠٠١/٤ .

(٣٢) التفسير المنير لوهبة الزحيلي ٨٥/٢٥ .

(٣٣) سورة العنكبوت الآية ٨

(٣٤) ينظر: قراءة لحقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية لفالح البدارين ص٦٩ .

(٣٥) الحديث أخرجه: البخاري في صحيحه ٤٥٥/١ رقم ١٢٩٠ .

(٣٦) الأثر أخرجه: البيهقي في سننه ٣٤٩/٩ رقم ١٨٧٤١ .

(٣٧) سورة الإسراء الآية ٧٠

(٣٨) ينظر: جامع البيان للطبري ٥٠١/١٧ .

(٣٩) الحديث أخرجه البخاري في صحيحه ٤/١ رقم ١٢٤٩ .

(٤٠) سورة المائدة الآية ٨ .

(٤١) ينظر: ملامح التسامح والعنف والإرهاب، ص٢٥ – زاد المعاد لأبن القيم ٥١/٤ .

(٤٢) سورة البقرة الآية ٢٣٦ .

(٤٣) ينظر: التفسير المنير لوهبة الزحيلي ٣٨٥/٢ .

(٤٤) سورة الضحى الآية ٩ .

(٤٥) سورة الضحى الآية ٦ .

(٤٦) الحديث أخرجه: الإمام أحمد في مسنده ٤٧٤/٣٦ رقم٢٢١٥٣ .

(٤٧) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٦٤٦/٦ .

(٤٨) سورة التوبة الآية ٣٦ .

(٤٩) سورة التوبة الآية ١٢٣ .

(٥٠) ينظر: جامع البيان للطبري ٥٧٤/١٤ .

(٥١) صحيح مسلم ١٣٥٧/٣ رقم ١٣٥٦ .

(٥٢) سورة الإنسان الآية ٨ .

(٥٣) ينظر: التفسير المنير للزحيلي ٢٨٩/٢٩ .

(٥٤) ينظر: تفسير القرآن العظيم لابن كثير ٣/٤ .

(٥٥) سورة النمل الآية ٥٩ .

المصادر

- **بعد القرآن الكريم**

١- الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية للشيخ محمد عبده، دار الحداثة بمصر، ط ٣، ١٩٨٨م.

٢- التسامح بين القرآن الكريم والعهد الجديد لعبد الله ربابعة، رسالة ماجستير، جامعة أهل البيت– الأردن.

٣- التسامح مظاهره وآثاره لميمونة الناصر، شبكة الألوكة.

٤- التعايش السلمي بين الأديان في شيخان، لأحمد محمد البريفكاني، صحيفة التآخي، العدد ٦٤٢٧ .

٥- التفاهم في الإسلام، للدكتور محمود حمدي زقزوق، مجلة التسامح- نحو خطاب إسلامي متوازن.

٦- تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي ت٧٧٤ه، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠ه.

٧- التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج لـــ د. وهبة بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر- دمشق، ط٢، ١٤١٨ه.

٨- تهافت التهافت، لمحمد بن أحمد بن رشد، تحقيق: سلمان دنيا، دار المعارف- القاهرة، ط٣، ١٩٨٠م.

٩- جامع البيان في تأويل القرآن لمحمد بن جرير بن يزيد الطبري ت٣١٠، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠ .

١٠- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه، لمحمد بن اسماعيل البخاري، تحقيق: محمد زهير بن الناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢ه.

١١- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري القرطبي ت٦٧١ه، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفش، دار الكتب المصرية- القاهرة، ط٢، ١٣٨٤ه.

١٢- جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن الحسين بن دريد الأزدي (ت٣٢١هـــ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين- بيروت، ط١، ١٩٨٧م.

١٣- حقوق الإنسان وحرياته الأساسية لعبد الوهاب عبد العزيز الشيشاني.

١٤- دعوة لنشر ثقافة التسامح الفكري للدكتور ابراهيم بن منصور التركي

١٥- زاد المعاد في هدي خير العباد، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن القيم الجوزية ت٧٥١ه، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط٢٧، ١٩٩٤م.

١٦- السلام العالمي والإسلام، لسيد قطب، دار الشروق.

١٧- سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث بن إسحاق الأزدي ت٢٧٥ه، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت.

١٨- شعب الإيمان، لأحمد بن الحسين بن علي البيهقي ت٤٥٨ ، تحقيق: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض، ط١، ٢٠٠٣م.

١٩- صحيح ابن حبان، لمحمد بن حبان بن أحمد الدارمي ت٣٥٤ه، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة- بيروت، ط٢، ١٩٩٣م.

٢٠- في ظلال القرآن، لسيد قطب إبراهيم حسين الشاربي ت١٣٨٥، دار الشروق- بيروت – القاهرة، ط١٧، ١٤١٢ه.

٢١- قراءة لحقوق الإنسان في الشريعة الإسلامية لفالح البدارين

٢٢- كتاب التعريفات لعلي بن محمد بن علي زين الشريف الجرجاني ت٨١٦ه، تحقيق: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية –بيروت، ط١، ١٩٨٣ .

٢٣- لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري ت٧١١ه، دار صادر- بيروت، ط٣، ١٤١٤ه.

٢٤- محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين بن محمد سعيد القاسمي ت١٣٣٢ه، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٤١٨ه.
٢٥- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله ﷺ ، لمسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري ت٢٦١ه، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي- بيروت.
٢٦- مشارق الأنوار على صحاح الآثار، لابي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي ت٥٤٤ه، المكتبة العتيقة ودار التراث.
٢٧- معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا ت٣٩٥، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٩٧٩ .
٢٨- ملامح التسامح والعنف والإرهاب في الأديان السماوية، لحنفي المحلاوي، عالم الكتب، ٢٠٠٣م.
٢٩- نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ، عدد من المختصين، دار الوسيلة للنشر والتوزيع جدة، ط٤.